

الفصل الأول

خلفية الدراسة وأهميتها

المقدمة:

يُعد أطفال دور الرعاية الإيوائية ضحايا لظروف لا ذنب لهم فيها، فهي إما بسبب فقدان أحد الوالدين أو كليهما أو عجز الأبوين عن تقديم الرعاية اللازمة لأبنائهم لأسباب متباينة، أو أنهم مجهولو النسب، حيث يعيشون حياة تختلف عن أقرانهم، وخصوصاً في وقتنا الحاضر الذي يتصف بتزايد الاحتياجات والتحديات، فتتضاعف حاجاتهم إلى الحب والحنان والثقة بالنفس وتوكيد الذات، وتزداد مشكلاتهم مقارنة بالأطفال العاديين، فيتعرضون لصعوبات واضطرابات سلوكية ووجدانية، وأنواع شتى من الحرمان، بسبب الشعور بفقدان أسس الحياة الأسرية، وما يترتب عليها من شعور بالإغتراب النفسي. وكذا الأمر للأمهات البديلات اللواتي يعانين الانفصال عن الزوج والأبناء والحياة الأسرية.

والأطفال في دور الرعاية يتعرضون للعديد من المشكلات النفسية والاجتماعية، ونذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر: الشعور بالحرمان، وعدم الإحساس بالأمن، والكبت، والشعور بالاضطهاد، والعزلة، والانسحاب، وعدم الثقة بالنفس، والبحث عن تأكيد الذات، من خلال التعدي على الغير والميل للتخريب. ومن مظاهر هذه المشكلات العدوان، وله أسباب عديدة ومنها: الرغبة في التخلص من السلطة، والشعور بالفشل والنقص واستمرارية الشعور بالاحباط. ويشكل الكذب مظهراً آخر من مظاهر هذه المشكلات، وهو سلوك اجتماعي غير سوي يؤدي إلى العديد من المشكلات الاجتماعية، كما أنه ينشأ من مشكلات عديدة أخرى، مثل مشكلة التمرد والعناد. وتؤدي المشكلات الاجتماعية الناتجة عن الانحلال الأسري، وتفسخ العلاقات بين أفرادها إلى سلوكيات غير مرغوب فيها، نتيجة الفشل العاطفي في حالة فقدان أحد الوالدين، أو كليهما، أو دخول أحدهم السجن، أو مرضه مرضاً مزمناً أدى إلى إنهيار هذه الأسر. وما ترتب عليها من نتائج سيئة يكون ضحيتها هؤلاء الأطفال الذين تصبح مؤسسات دور الرعاية مأواهم البديل عن دفء الأسرة (البلاوي، 1990).

وذكرت مؤسسة اليونسكو في هيئة الأمم المتحدة في تقريراً لها عن المؤثرات التي تحدث للطفل من حرمانه من عطف أبية- مؤقتاً أم دائماً- يثير فيه كآبة وقلقاً مقرونيين بشعور الإثم والضعف ومزاجاً متمرداً، واضطراباً في النفس، وفقداناً لحس العطف العائلي، فالأطفال المنكوبين

بحرمانهم من آبائهم ينزعون الى البحث في عالم الخيال عن شئ يستعوضون به عما فقدوه في عالم الحقيقة (غباري، 1999).

إذ يرى دياب (2006) أن الصحة النفسية للأفراد ترتبط بإشباع الحاجات النفسية لديهم وإشباع الحاجات النفسية للأفراد القائمين على رعايتهم، حيث يرى الشخصية المتمتعة بالصحة النفسية تتميز بخصائص التوافق، والشعور بالرضا، والسعادة مع النفس والآخرين، كما أنها تشمل تحقيق الذات، واستغلال القدرات، والقدرة على مواجهة مطالب الحياة، والتكامل النفسي والسلوك العادي، وحسن الخلق، والعيش بسلام.

والأمهات البديلات المكلفات برعاية هؤلاء الأطفال يواجهن مستويات مرتفعة من الضغوط، والإحترق النفسي، والشعور بالإحباط، والإعياء، والارق، والانسحاب الإجتماعي، وعدم الشعور بالراحة، والصعوبة في التركيز، وتشتت الانتباه، والإكتئاب، وتدهور الحالة الصحية، وذلك لعظم إحساسهن بالمسؤولية اتجاه هؤلاء الأبناء من ناحية، ولمعانتهن الشخصية من مشاكل أسرية، وحرمانهن من البيئة الأسرية السوية التي فرقت بينهن وبين أبنائهن وأزواجهن، فضلاً عن الصعوبات المالية التي أدت بالكثير منهن الى العمل كمقدمة رعاية للآخرين في حين أنهن في أمس الحاجة لتلقي هذه الرعاية (Haycock, 2009).

ولكي يستطعن هؤلاء الأمهات التعايش مع ما يواجهنه من ضغوط وجب العناية بهن ومساعدتهن على تغيير نمط تفكيرهن بالاستفادة من مكامن القوى في شخصهن، وإيقاظ روح الأمل، والتفاؤل بتوجيه تفكيرهن إيجابياً، حيث أن التفكير الإيجابي هو بداية الطريق للنجاح، وفي الواقع عندما يفكر الشخص إيجابياً فإنه يُبرمج عقله ليفكر إيجابياً، والتفكير الإيجابي يؤدي إلى الأعمال الإيجابية في معظم شؤون الحياة (بايلس، وسليجمان، 2009: 9).

ويبحث علم النفس الإيجابي في أهمية استخدام الطرق العلمية لتحديد كيفية توجيه الأمور إلى الطريق الصحيح، وهو علم التمكين النفسي ومكامن القوى لدى البشر. وإن الباحثون في هذا المجال يُحللون حالات السعادة، والتدفق ومصادر القوى والفضائل والمواهب، كما أنهم يحلون الطرق التي يمكن تطويرها من قبل الأنظمة الاجتماعية والمؤسسات، ولكنهم لا ينكرون أهمية دراسة ما عند البشر من أخطاء للتعرف على التفكير الإيجابي (Diener, 2003).

أما الاغتراب النفسي مفهوم عام وشامل يُشير إلى الحالات التي تتعرض لها الشخصية للإنشطار أو العنف والإنهيار بتأثير العمليات الثقافية والاجتماعية التي تتم داخل المجتمع. ويُعد الاغتراب النفسي الحصيلة النهائية للاغتراب في أشكاله المتعددة - ثقافي، اجتماعي،

اقتصادي، سياسي، ديني _ وإذا ما عايش الإنسان هذه الحالة في أي مجال من مجالات حياته أنقصت من تقديره لذاته، وأثرت سلباً على دافعيته للإنجاز، وأفقته الإحساس بالإتزان مما يؤدي إلى إنخفاض قدرته على الأداء ، وتوقف نموه الذاتي. فلا يصبح لحياته معنى ولا هدف، وهذا ما يصبح الحال عليه إذا ما أصابت هذه الحال مئات المراهقين من الجنسين الذين يحاولون فك أزمة الهوية، مما يؤدي بهم إلى الاضطرابات النفسية والسلوكية، فما بالنا لو كانت هذه الفئة ممن يعيشون في المؤسسات الإيوائية لأسباب خارجة عن إرادتهم (عباس، 2008).

مشكلة الدراسة:

تكمن المشكلة في تجاهل الدور المهم الذي يؤديه مقدم الرعاية في تلبية الحاجات النفسية والاجتماعية للأطفال والمراهقين المقيمين في دور الرعاية الإيوائية، ويكمن هذا التجاهل في عدم وجود دراسات وبحوث كافية تتناول كفاية مقدمي الرعاية، ومعرفتهم بالحاجات النفسية والاجتماعية لهؤلاء الأطفال المقيمين في هذه الدور الإيوائية (في حدود علم الباحثة واستقصائها). ويرى لازاروس وفلكمان (Lazarus & Folkman, 1984) المشار اليه في (تاج الدين، 2008) أن الإنسان مفكر إيجابي بطبيعته، فإذا توافرت له بيئة إيجابية ستجده يتصرف بإيجابية، أما البيئة السلبية فإنها تؤثر في طريقة تفكيره في الاتجاه العكسي. وأن دور العقل والكيفية التي يتعامل بها الفرد مع الموقف تنعكس على ردود فعله والآثار المترتبة على ذلك، وقد استخدمت أساليب تعديل الأفكار غير العقلانية مع الأفراد الذين يعانون من ضغوط نفسية، مثل أسلوب حل المشكلات وإعادة التصور المعرفي والاسترخاء.

وتكمن المشكلة كذلك في ضعف الكفاية بمعرفة الحاجات النفسية لمقدمي الرعاية في دور الرعاية الإيوائية، وعدم وجود معايير واضحة لدى مؤسسات الرعاية تقيس جانب المعرفة بالحاجات النفسية لديهم، وعلى الأخص الأمهات البديلات، مما يترتب عليه إهمال تنمية دور التفكير الإيجابي في معالجة المشاكل النفسية الناشئة لديهن نتيجة الشعور بالفقدان والحرمان من الحياة الأسرية السوية.

ويؤكد (أسعد، 1986) أن أي نشاط أو تفاعل يرغب الفرد في انجازه، بحاجة الى إعداد كمية مناسبة من الطاقة الحيوية، التي تظهر بأشكال مختلفة، بعضها جسمي، وآخر عقلي، أو وجداني، أو كلامي، أو اجتماعي، والذي يمنع الفرد من حشد هذه الطاقة وتفعيلها وإحالتها الى

أساليب بالشكل المناسب، هو عدم توافر القدر الكافي من التفاؤل لدية والذي يعد شريان رئيس للتفكير الإيجابي.

وقد لاحظت الباحثة من زياراتها الى بعض دور الرعاية في عمان أن هؤلاء الأمهات البدليات يعانون من نظرة سلبية للحياة وتشاؤم وضعف أمل وعدم ثقة بالمستقبل، مما يجعل عملية تفعيل الجوانب الإيجابية في التفكير لديهن، والتي هي من المفاهيم الأساسية لعلم النفس الإيجابي، والذي تم طرحه في علاج العديد من المشاكل النفسية على مستوى شرائح مجتمعية متعددة، من الأمور الأساسية لتمكينهن من العيش بطريقة أكثر تفاؤلاً وإقبالاً على الحياة، ومساعدتهن في تحمل ما أوكل إليهن من مسؤولية بكفاءة عالية تنعكس إيجاباً على الأطفال الذين في كفهن، حيث أن هذا العلم غير مطروح بأي بصورة لهذه الفئة من الأمهات البدليات في دور الرعاية الإيوائية، ولم تتل هذه الفئة أي اهتمام يذكر في هذا المجال.

حيث تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة على السؤال الرئيس الآتي:

ما فعالية برنامج إرشاد جمعي مستند لنظرية علم النفس الإيجابي في تنمية التفكير الإيجابي وخفض الشعور بالاغتراب النفسي لدى الأمهات البدليات في دور الرعاية الإيوائية في الاردن؟
ويتفرع عنه الأسئلة الفرعية الآتية:

1- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.05$) بين المجموعة

التجريبية والمجموعة الضابطة على مقياس التفكير الإيجابي تعزى للبرنامج الإرشادي؟

2- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.05$) بين المجموعة

التجريبية والمجموعة الضابطة على مقياس الاغتراب النفسي تعزى للبرنامج الإرشادي؟

أهمية الدراسة:

تستمد الدراسة أهميتها من أهمية موضوعها وعينتها وندرة الدراسات حسب علم الباحثة في هذا الموضوع وتحقق أهمية الدراسة من خلال:

الأهمية النظرية:

تكمن الأهمية النظرية لهذه الدراسة في حداثة موضوعها والحاجة للبحث فيه، والمتوقع إضافته من نتائج للمعرفة العلمية في هذا المجال؛ لذا فإن الأهمية النظرية لهذه الدراسة تنبثق من أنها حاولت إلقاء الضوء على تنمية التفكير الإيجابي، وخفض الشعور بالاغتراب النفسي لدى هذه الفئة المهمشة في مجتمعاتنا العربية بشكل عام، والمجتمع الأردني بشكل خاص حسب علم الباحثة، وتبرز أهميتها أيضاً في تغيير اتجاه معالجة المشاكل والضغوط النفسية بالتركيز على نقاط القوة

والإمكانات والمهارات التي يتمتع بها الافراد وبشكل فطري ، ولكنها بحاجة لمن يكشف عنها.، وقد تسهم هذه الدراسة في زيادة معرفة الأفراد لما يتمتعون به من خصائص إيجابية سواء كان ذلك على مستوى المكونات الاساسية للشخصية من قيم، واهتمامات، ومواهب، أو على مستوى الخبرات الذاتية الإيجابية مثل الشعور بالسعادة والرضا والإنجاز والتدفق ، أو على مستوى المؤسسات الإيجابية المتمثلة في الأسر، والمدارس، والعمل، والمجتمع عامة. وتبرز أهميتها كذلك في كونها توجه الأنظار نحو فئة مهمة في المجتمع لما يناط بهن من أعباء تربوية كبيرة اتجه أولئك الأطفال الذين هم بأمس الحاجة لكل جهد إيجابي مهما صغر.

الأهمية التطبيقية:

تتبع أهمية هذه الدراسة من أهمية الأسلوب الإرشادي المستخدم ، وهو برنامج إرشادي جمعي قائم على نظرية علم النفس الإيجابي لتنمية التفكير الإيجابي وخفض الاغتراب النفسي، وتعد هذه الدراسة من أولى الدراسات في هذا الموضوع في الأردن، والتي قد تفيد المعنيين من القائمين على دور الرعاية الإيوائية، والمرشدين النفسيين في المراكز الخاصة، والمدارس، وأولياء الأمور من خلال انها توفر برنامجاً إرشادياً قد يستفيدون منه ويتعرفون على آلية تطبيقه. كما تكتسب الدراسة أهميتها في مساعدة الأمهات البدليات في دور الرعاية الإيوائية في كيفية الاستفادة من مصادر القوى الشخصية لديهن، وتفعيلها في مختلف مناحي الحياة، والعمل على الاستفادة من كل مصادر الدعم الاجتماعي المتاحة. مما يجعلهن قادرات على العيش بطريقة أكثر إحساساً بالرضا، والسعادة النفسية والابتهاج، ويثري لديهن النظرة التفاضلية للمستقبل.

حدود الدراسة:

أ- تتكون حدود الدراسة من :

1. الحدود المكانية: مؤسسة الحسين الاجتماعية في الأشرفية في عمان.
2. الحدود الزمانية: تم تطبيق البرنامج الإرشادي في الفصل الدراسي الثاني 2014-2015.
3. الحدود البشرية: اقتصرت الدراسة على الأمهات البدليات في مؤسسة الحسين الاجتماعية في منطقة الاشرفية في عمان.

ب- أدوات الدراسة المتمثلة بكل من :

1- البرنامج الارشادي.

2- التفكير الايجابي.

3- الإغتراب.

محددات الدراسة:

- ما تألوا اليه نتائج الدراسة من خلال إمكانية تعميم نتائجها في ضوء صدق استجابات المفحوصين والخصائص السيكمترية لادوات القياس على عينات مماثلة .

تعريف مصطلحات الدراسة نظرياً وإجرائياً:

البرنامج الإرشادي : وعرفته (زهران ،2004 : 35) بأنه: " هو برنامج مخطط ومنظم في ضوء أسس علمية لتقديم الخدمات الإرشادية المباشرة، وغير المباشرة فردياً وجمعياً لجميع من تضمهم المؤسسة، بهدف مساعدتهم على تحقيق النمو السوي، والقيام بالاختيار الواعي المتعلق لتحقيق التوافق النفسي داخل المؤسسة وخارجها، ويقوم بتخطيطه وتنفيذه وتقييمه لجنة وفريق من المسؤولين المؤهلين"، وإجرائياً بأنه مجموعة من الاستراتيجيات المشتقة من نظرية علم النفس الإيجابي لمارتن سليجمان والذي تكونت عينه الدراسة فيه من (20) أم بديلة في مؤسسة الحسين الاجتماعية، ويتكون من (13) جلسة تدريبية بواقع جلستين في الأسبوع، ومدة كل جلسة (90) دقيقة.

علم النفس الإيجابي اصطلاحاً: ويعرفه "مارتن سليجمان"(3: 2002, Seligman) بأنه : "هو علم الدراسة العلمية للسعادة الإنسانية، ويعد مصطلح علم النفس الإيجابي مظلة عامة لدراسة الانفعالات الإيجابية، والسمات الإيجابية للشخصية، ومؤسسات التمكين - مؤسسات تمكين الإنسان من توظيف وتفعيل طاقاته وإمكانياته ليعيش حياة هائلة ومنتجة " .

التفكير الإيجابي: ويعرفه (راتب،1997: 430) بأنه: " التفاؤل بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى والنظر الى الجميل في كل شيء والبحث عن الجانب المثير في الحياة وإن كانت ومضة ضوء"، وإجرائياً بأنه الدرجة الكلية التي يحصل عليها المفحوص على مقياس التفكير الإيجابي الذي تم تطويره من قبل الباحثة لهذه الدراسة."

الاغتراب النفسي: عرفته هورني (1970) والمشار إليها في (المالكي، 1994: 201) بأنه : "هو ما يعانيه الفرد من إنفصال عن ذاته حيث ينفصل الفرد عن مشاعره الخاصة ورغباته ومعتقداته وهو فقدان الإحساس بالوجود الفعال" ، وإجرائياً الدرجة الكلية التي يحصل عليها المفحوص على مقياس الإغتراب النفسي الذي تم تطويره من قبل الباحثة لهذه الدراسة.

الأم البديلة: وعرفها (الجرجاوي، 2012: 91) بأنها : " الأم المُخولة بتقديم الرعاية في دور الإيواء للأطفال فاقد السند الأسري من أيتام أو مجهولي النسب، أو ممن أبائهم موجودين ولكنهم

غير قادرين على تقديم الرعاية لابنائهم لظروف عدة"، وأجرائاً بأنها الأم التي تقوم برعاية الابناء المراهقين في مؤسسة الحسين الاجتماعية في منطقة الأشرفية في عمان.

دور الرعاية الإيوائية: " هي مؤسسة تستقبل الأطفال اللقطاء، أو الذين يتخلى عنهم آباءهم وتقوم برعايتهم، وإما أن تكون هذه المؤسسة حكومية أو خيرية تشرف عليها الجهات الحكومية المسؤولة. وتعتبر هذه المؤسسات إحدى الحلقات في برامج الرعاية حيث أنها تتلقى الطفل، وإما أن تحتفظ به وتقوم بتربيته ورعايته أو تسلمه لأم بديله تقوم بإرضاعه وتربيته أو تسلمه لأسره بديله إذا كان كبيراً في السن" (السكري، 2000: 209)، وإجرائاً بأنها مؤسسة الحسين الاجتماعية في منطقة الأشرفية في عمان التي تم تطبيق البرنامج الإرشادي عليها.